والآن ، ما هي اللغة الثقافية التي ترسم « البطل الفلسطيني ـ الحلم » ؟ لا يبخل علينا المقال الروائي بالجواب . فلنر :

ما كنت أتخرج من « كلية بيروت للبنات » (التي بقيت ظلما تسمى على السنة الكثيرين ، جونيور كوليج / أرسل (هشام) في بعثة إلى جامعة مانجستر/كنا نطلب الحكم أحيانا من سميرة ، أخت كاظم ، بعد عودتها من الدراسة في الولايات المتحدة/ ثم نسافر (جواد) إلى أمريكا لكي أدرس للدكتوراة/جاءتني الأخبار يومئذ وأنا في أوستن ، تكساس/ كانت ريمة قد درست عند الراهبات / وأنا أعلم أنها التحقت بجامعة سانسيكس بانكلترا للدراسة / ...

السؤال البسيط الان هو التالي : ما هو شكل البطل الذي تنتجه هذه الذاكرة الاجتماعية المترفة والمغتربة ؟ وهل بامكان هذا البطل أن يكون واقعيا ؟ وإن كان كذلك فهل في إمكانه أن يكون فلسطينيا فعلا ؟. إن الذاكرة المغتربة تخاف الواقع لأنه يشي بغربتها ، ودرءا للوشاية تخاطب الواقع من وراء أقنعة ، وقد تتضاعف الأقنعة حتى يصبح البطل لغزا : « قال البعض انه هاجر إلى كندا ، أو استراليا . قيل انه قتل . قيل انه عاد إلى فلسطين سرا . المهم انه اختفى . ص : ١٦ » .

يقوم إشكال هذا الطبقة المغتربة في مقاربتها لسؤال لا تعرف جوابه أو في طرحها لسؤال تجهل معناه . كيف تقارب المسألة الوطنية وهي تائهه في سديم«الغياب الحضاري »و« مسرح الحضور ». لذلك سنرى أنها أساءت طرح السؤال وعجزت عن معرفة الجواب . أطلقت « وليد مسعود »ثم عجزت عن تحديد سماته ومعرفة مصيره . إن الوطنية بالنسبة لهذه الطبقة لغز لهذا جاءبطل ذاكرتها ملغزا ايضا . لكنها في وهمها الموضوعي لا تعرف حدود السؤال والاجبة ، ولا حدود الكمال والنقص ، ولا حدود الجمال والقباحة .

البطل المطلق :

كما يطلق البائس خياله في السماء الزرقاء باحثا عن فردوسه الأرضي ، يطلق العاجز عقال ذاكرته باحثا في ربوع الخيال عن بطولته الأرضية المفقودة ، وكلما زاد البؤس تضاعف حجم الفردوس وتطاولت قامة البطل . والفردوس كما البطل الذهني لا ترى كلاهما كيانان مجردان يتحددان في عالم التجريد ويفارقان معايير العالم الأرضي . كلما أصبح الواقع فقيرا زادت خصوبة الخيال وغناه ، لهذا فان الطبقة العاجزة لا تستطيع أن تصنع بطلها إلا بحجم عجزها اليومي المعاش :

هذا الغريب القادم من وديان مجهولة / أقل الناس أنانية وأكثرهم عشقا / التراب يتحول إلى ذهب بين يديه / لكلامه سيولة الهذيان / كانوا يتصورونه داهية من دهاة المال / جذوره الحقيقية في جبال ووديان تغذيه سرا / كان يريد لهذا المجتمع أن يحقق ذاته عن طريق العقل والحرية والابداع / كان مدفوعا بنزعة الابداع الغامضة / يكتب بحرارة أهل اللاهوت / خيل إلي أن المطر نفسه كان من تدبيره / أمس رأيته عائدا من دار وليد وكأنه عائد من زيارة ولي ، أو بطل اسطوري / أصالته في دخيلة ذهنه ، في خلايا دماغه / أراد أن يقتحم كل شيء /